ضوابط الدراسات البيانية عند عائشة عبد الرحمن: دراسة تحليلية

statement studies rules according to Aicha Abd Arrahman: Analytical study

ابتسام فارح*

كلية العلوم الإسلامية – جامعة باتنة 1

ibtissemfarah30@gmail.com

أ.د. السعيد بوخالفة

كلية العلوم الإسلامية – جامعة باتنة 1

said.boukhalfa@univ-batna.dz

تاريخ الاستلام: 2021/09/16 تاريخ القبول 2021/12/27 تاريخ النشر 2021/12/31

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى رصد مدى تطبيق عائشة عبد الرحمن لضوابط منهج الدرس البياني، من خلال تفسيرها البياني، وكتابها "الإعجاز البياني للقرآن، ومسائل ابن الأزرق".

وتظهر أهمية هذا البحث في إثراء المكتبة التفسيرية، وإبراز ضوابط المنهج البياني، كونه منهجا يرمي إلى فهم دقيق محرر للمعجزة الخالدة، وعلى الوجه الذي جاءت به مفرداتها وتراكيبها.

وقد تساوق المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي في نمنمة فُسيفساء هذا البحث.

* المؤلف المراسل

وإجمالا، أكد البحث على اجتهاد عائشة عبد الرحمن في الالتزام بضوابط الدرس البياني والمتمثلة في: دراسة الموضوع الواحد في القرآن، دراسة حول القرآن، دراسة في القرآن.

الكلمات المفتاحية: ضوابط؛ الدراسات البيانية؛ عائشة عبد الرحمن؛ القرآن؛ التفسير البياني؛ الإعجاز البياني.

Abstract:

This article aims to identify the extent to which Aisha Abd Arrahman has applied the rules of the statement lesson, approach through her interpretation and book "The Miraculousness statement of the Qur'an and the issues of Ibn al-Azraq". The importance of this research lies in enriching the interpretive library, and highlighting the rules of the interpretive approach as it is a method aims to understand the timeless miracle accurately, and of the way its vocabulary and compositions have come in. We adopted the exploratory and descriptive approaches in this study. The research emphasized Aisha Abd Araahman's diligence in adhering to the rules of the Quranic lesson, namely: studying the same subject in the Qur'an, studying the Qur'an, and studying in the Qur'an.

key words: rules; statement studies; Aicha Abd Arrahman; Qur'an; interpretation; Miraculousness statement.

مقدّمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، أما بعد:

فلا يزال القرآن الكريم المعجزة الخالدة ما تعاقبت السنين، فهو معجز بمفرداته وتراكيبه وأساليبه وإخباره عن الغيبيات، وإشاراته إلى الحقائق العلمية، ولا تنقضي عجائبه ولا تفنى معانيه، أنزله الله عز وجل لهداية البشر، بهر العرب ببيانه وكانوا أفصح الأمم بلا ريب، والذي بهر غيرهم بكنوز المعرفة المتعددة، فوقف كل فريق أمام جانب من جوانبه، وما أكثرها.

وقد اهتم علماء العربية بمناحي النص القرآني المعجز الجمالية منذ بداية نزوله، وبقي الأمر كذلك يكمل المتأخر ما بدأه المتقدم، شاكرا له جهده إلى العصر الحديث، حيث تعددت قراءاته وتنوعت ألوان تفسيره في ضوء قضايا العصر، لترتبط حركات

التجديد في عصر النهضة العربية بالقرآن الكريم، فكان ممن دعا إلى العودة إلى البيان العربي في مصادره الأولى محمد عبده (1849-1905م).

في حين ظهر اتجاه آخر تجديدي اعتنى بالجانب الأدبي يتزعمه أمين الخولي والذي أسس مدرسة التفسير البياني لآيات القرآن الكريم، فكان أول من تأثر بمنهجه تلميذته وزوجه عائشة عبد الرحمن، حيث سعت جاهدة إلى الكشف عن وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وحاولت تطبيق منهج درس النصوص الأدبية على النص القرآني، مع مراعاة ما يتميز به القرآن الكريم، فلقد تبنت هذا الاتجاه فيما قدّمته من أبحاث، وما ألقته من محاضرات، وما أخرجته من كتب، وسنقف عند كتابين كانا أكثر كتبها انتشارا، وهذان الكتابان هما: التفسير البياني للقرآن الكريم، وهو تفسير لبعض قصار السور. والكتاب الثاني: الاعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، وعلى الرغم من أن لكل منهما موضوعه الخاص به، إلا أن هناك قضايا مشتركة نجدها في كليهما.

تكمن أهمية هذا البحث في تبيان الخطوات التطبيقية للمنهج البياني في الدراسات البيانية، وكيف أنه أصبح أداة يستعان بها منهجيا في طرح أسئلة مراجعة المفاهيم الأساسية لألفاظ القرآن الكريم.

بناء على أهمية الموضوع نطرح الإشكالية الرئيسية التالية: إلى أي مدى امتثلت عائشة عبد الرحمن لضوابط منهج الدرس البياني للقرآن الكريم في تطبيقاتها التفسيرية؟ وانطلاقا منها، يمكن طرح التساؤلات الفرعية التالية:

- من هي عائشة عبد الرحمن؟
- ما مفهوم الدراسات البيانية؟
- هل وُفّقت عائشة في توظيف المنهج البياني في دراساتها البيانية؟

تسعى الدراسة إلى تحقيق جملة أهداف من أهمّها:

- عرض ضوابط المنهج البياني كما تلقته بنت الشاطئ عن شيخها أمين الخولي، مع ذكر بعض الأمثلة التي أوردتها في بحوثها.
- بيان مدى انضباطها بمنهج الدرس البياني.

وقد سلكت في هذا البحث منهجا مركبا من المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي؛ فاحتياج البحث إلى المنهج الاستقرائي يقتضيه تتبع أقوال عائشة الكاشفة عن البيان القرآني وإعجازه.

واحتياج البحث إلى المنهج التحليلي يعد نتيجة حتمية لعملية الاستقراء، فإثبات التزام عائشة عبد الرحمن بضوابط المنهج البياني يقتضي دراسة تحليلية، لما يمكن جمعه من آراء واستدلالات أقرتها، لمختلف المسائل البيانية.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى: مقدمة، ومحورين، وخاتمة؛ خصصت المحور الأول منها للتعريف بمصطلحات البحث (عائشة عبد الرحمن، الدراسات البيانية)، والثاني لبيان ضوابط ومعالم منهجها في الدراسات البيانية للقرآن الكريم.

المحور الأول: التعريف بمصطلحات البحث (عائشة عبد الرحمن، الدراسات البيانية)

أولا: التعريف بعائشة عبد الرحمن

1- اسمها ونسبها ومولدها ونشأتها

هي عائشة محمد عبد الرحمن البنّا، ولدت في محافظة دمياط بشمال دلتا مصر، في 7 ذو الحجة 1331هـ، الموافق لـ 6 نوفمبر سنة 1913م[1].

ينتهي نسب هذه الأسرة إلى "الحسين بن علي ابن أبي طالب"[2].

تكنى "أمّ الخير"[3]، وقد أطلقت الدكتورة عائشة على نفسها لقب "بنت الشاطئ"؛ وذلك لشغفها للّعب في النهر، والتطلع لجمال الطبيعة، وذلك بحكم نشأتها بجانب شط دمياط. لأمور منها:

- أنه كان ينتمي إلى حياتها الأولى على شواطئ دمياط، والتي ولدت بها[4]، أي: شاطئ دمياط الذي عشقته في طفولتها.

- خوفا من إثارة حفيظة والدها، كانت توقع باسم بنت الشاطئ نظرا لشدة محافظة أسرتها[5].

نشأت عائشة عبد الرحمن في أسرة وجيهة فاضلة اشتهرت بالدين والتقوى، فوالدها كان مدرّسا بمدرسة دمياط الإبتدائية الأميرية للبنين "محمد علي عبد الرحمن الحسيني"، لكنه لم يكن من أبناء دمياط، وإنّما ولد في قرية "شبرا بخوم"- حيث أمضى بها طفولته يحفظ القرآن الكريم ويجوّده، لينتقل بعدها إلى العاصمة[6]. كما أنّها عاشت في بيت جدّيها لأمّها مثلت فيهم الجيل الرابع، بيت "إبراهيم الدمهوجي"[7]، فتلقت التشجيع من جدّها الدمهوجي، وكذلك من أمّها التي كان لها دورا فعالا في صقل شخصيتها التعليمية ماديا ومعنويا[8].

أمّا زوجها فهو أمين الخولي، مؤسّس المدرسة البيانية، مصنّف كتاب "الاجتهاد في النحو العربي" و"رسالة في الأدب العربي وتاريخه" ومصنفات أخرى، تتلمذت على يده عائشة عبد الرحمن لتكون فيما بعد زوجته الثالثة، ارتبط بها عن رغبة اختلط فيها الإعجاب البشري بالإعجاب الفكري، وأدى بها إلى أن تكون أبرز ممثلي منهج زوجها في التفسير الأدبي أو البياني[9].

2- حياتها العلمية

بدأت عائشة حياتها العلمية في كتّاب حفظ القرآن الكريم، فقد حفظته في سنّ مبكرة، اختُلف في تحديدها أهي السابعة أم الرابعة عشر من عمرها، فكان للمدرسة الإسلامية فضل كبير في أن رسّخت جذور بنت الشاطئ في المبادئ والأصول الإسلامية، ووجّهتها من كتّاب القرية إلى ما حصّلته من ثمار كدّ عبر مراحل متميزة ثلاث متكاملة:

أوّلها: مرحلة الأساس؛ تولّاها جدّها لأمّها أمرها فأخذ بيَدها، وأرسلها إلى المدرسة، بعد أن رفض والدها ذلك، لأنّ تقاليد العائلة كانت تمنع خروج الفتيات للمدرسة، في وقت رأى الأب أنّها قد ختمت العلم اللائق بالبنت، أما البنت فوجدت نفسها مازالت عطشى إلى العلم، روَت أنها كانت السّبب في الكسر الذي تعرّض له الجد، في محاولته إقناع والدها لإرسالها للمدرسة، والخصومة الحادّة التي حدثت بينهما، وخروجه منفعلا واصطدامه بدابّة كانت تعبر الطّريق، ثم أرسلها والدها لخدمة جدّها، والعيش إلى جواره،

وأنّه سكت على مضضٍ حين أرسلها جدّها للمدرسة، ولم يُرد أن يتصدّى لمعارضة الجدّ المقعد في أواخر أيّامه[10].

ولم تكن عائشة عبد الرحمن في طفولتها كباقي أترابها تقضي إجازة الصيف في اللعب واللهو، بل كانت تسير على نظام خاص وضعه لها والدها، تتفوّق وتنبغ في العلوم والدراسات الإسلامية والعربية[11].

وحين أكملت دراستها الابتدائية، لم تقنع بما حصلت عليه، بل طمحت إلى أمر آخر كان من شأنه أن يثير غضب أباها لو علم به، فاستعانت بجدها لمواصلة دراستها الراقية بدمياط، ونظرا لوفاة جدّها، فقد اِلتحقت بدار المعلّمات، ولكنّها أكملت دراستها في المنزل، وحصلت على شهادة الكفاءة للمعلّمات عام 1932م، فكانت الأولى على القطر المصري كلّه، ثم شهادة الباكالوريا أدبي عام 1934م[12]، لتلتحق سنة 1935م بجامعة فؤاد الأوّل (جامعة القاهرة حاليًا)، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، وتخرّجت سنة 1939م، ثمّ أكملت الدّراسات العليا، وحصلت على الماجستير مع مرتبة الشّرف سنة 1941م، ونالت شهادة الدكتوراه سنة 1950م.

وكانت ثاني هذه المراحل من حياتها العلمية متابعتها للتفسير البياني للقرآن الكريم، والذي طبعته دار المعارف بالقاهرة سنة 1966م.

لتنتقل بعدهما إلى مرحلة ثالثة متوّجة لحياتها العلمية؛ أستاذة للتفسير والدراسات العليا، بكلية الشريعة، بجامعة القرويين بالمغرب، حيث قامت بالتدريس هناك ما يقارب العشرين عاما، وأصبحت واحدة من أعلام مصر تدرّس في جامعاتها، وجامعات البلدان العربية، وتخرّجت على يديها أجيال كثيرة.

3- وفاتها وآثارها العلمية

كانت وفاتها يوم الثلاثاء، 11 شعبان 1419هـ، الموافق لـ 1 ديسمبر 1998م، بمستشفى هوليوبوليس بالقاهرة، عن عمر ناهز السادسة والثمانين.

أما بالنسبة لآثارها العلمية فقد قدّمت بنت الشاطئ للمكتبة العربية الإسلامية أكثر من خمسين كتابًا، منها: مقدّمة في المنهج، والقرآن وقضايا الإنسان، والقرآن والتّفسير العصري.

ثانيا: التعريف بالدراسات البيانية

1- تعريف الدراسات

أ- الدراسات لغة

الدراسات جمع دراسة، من الفعل دَرَسَ. يقول صاحب مختار الصحاح: (دَرَسَ) الْقُرْآنَ وَنَحْوَهُ مِنْ بَابِ نَصَرَ وَكَتَبَ. وَدَرَسَ الْخِنْطَةَ يَدْرُسُهَا بِالضَّمِّ (دِرَاسًا) بِالْكَسْرِ. وَقِيلَ: سُمِّيَ (إِدْرِيسُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ لِكَثْرَةِ دِرَاسَتِهِ كِتَاب اللَّه تَعَالى[13].

ويقول صاحب لسان العرب: (دَرَسَ) الشيءُ والرَّسْمُ يَدْرُسُ دُرُوساً: عَفَا. والمِدارِسُ: الَّذِي قرأَ الْكُتُبَ ودَرَسَها، والمِدْراسُ: الْبيت الَّذي يُدرس فيه الْقرآن، حَتَّى أَتى المِدْراسَ؛ هو الْبَيْتُ الَّذِي يَدْرسون فِيهِ، ودارَسْت الكتبَ وتَدارَسْتُها وادَّارَسْتُها أَي دَرَسْتُها. والمِدْراسُ والمِدْرَسُ: الْموضع الَّذي يُدْرَس فيه. والمِدْرَسُ: الكتابُ، والمِدارِسُ: الَّذِي قرأَ الْكُتُبَ ودَرَسَها[14].

لفظ "دراسات" من خلال التعاريف التي أوردناها يتبيّن أنها تفيد معنى (تتبّع الأثر وإدامة القراءة للحفظ).

ب- الدراسات اصطلاحا

"الدراسة" وردت في القرآن تدل على معان منها:

- قال تعالى: ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79] و"دراستهم" إياه: تلاوته...تلاوة الكتاب، والكتاب" هو القرآن...الدراسة معنيّ بها دراسة القرآن...[15].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ [القلم: 37]، يقول تعالى أفبأيديكم كتاب منزّل من السماء، تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه، بنقل الخلف عن السلف، متضمن حكما

مؤكّدا كما تدّعونه؟[16]...جُعِلَت الدِّرَاسَة الْعَمِيقَة بِمَزِيدِ التَّبَصُّرِ فِي مَا يَتَضَمَّنُهُ الْكِتَاب بِمَنْزِلَةِ الشَّيْءِ الْمَظْرُوف فِي الْكتَاب كما تَقُول: لَنَا دَرْسٌ فِي كتاب سِيبَوَيه[17].

ومما سبق من الأقوال التي أوردناها عن الدرس نستطيع أن نقول بأن "الدراسات" تعني القراءة المتبصّرة والتعليم والتعلّم والمدارسة بتمهل وتفهم للقرآن الكريم، بالتذليل والتكرير، قصد الحفظ أو التدبّر أو التأمل...

ثانيا: مفهوم البيان

1- البيان لغة

البيان مصدر من جذر الكلمة (البين)، والبيان يأتي على عدة معان منها:

البيّنة: الدلالة الواضحة عقليّة كانت أو محسوسة، والبيان الكشف عن الشيء، ويكون بالنطق أو الكتابة أو الإشارة أو بدلالة الحال، وسُمّي الكلام بيانا كما في قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 138] ، لكشفه عن المعنى المقصود وإظهاره[18].

- البيان: ما بيّن به الشيء من الدلالة وغيرها، وهو الفصاحة واللّسن والإفصاح مع ذكاء، وفلان أبْيَنُ من فلان أي أفْصَحُ منه أَوْضَحُ كلاماً. ورجل بَيِّنٌ: فصيحٌ[19].

من خلال ما سبق يتبيّن أن مردّ مدلول "البيان" إلى الكشف سواء كان لسانيّا أو غير لساني.

2- البيان اصطلاحا

عرّفه الخطيب القزويني بقوله: "وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"[20]. أي أن هذه الطرق يختلف بعضها عن البعض الآخر في وضوح دلالتها على المعنى الواحد، فيكون هذا أوضح من ذاك[21].

وقد نبّه عبد الرحمن حبنكة على اقتصار البيانيين في تعريفهم لعلم البيان على عنصر إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة، فيقول موضحا: "وقد رأيت أنّ هذا التعريف ناقص، لأنّ هذا العلم يهتَمُّ أيضاً بما في الطُّرُقِ الَّتي يبحثُها من عناصر جمالية

وإبداعيّة، ويهتَمُّ بتربية الذوق الفنّيّ لإدْراكِ نِسَبِ الجمال والإبْداع، والتمييز بين مستويات الصُّور ودرجاتها جمالاً وإبداعاً، وإدْراكِ الصُّوَرِ المبتذلة والصُّوَرِ المرذولة المحرومة من الإبداع أو من الجمال، فأضفت هذه العناصر إلى التعريف"[22].

وما أضافه عبد الرحمن حبنكة لتعريف "البيان" اصطلاحا من تربية للذوق الفني هو ما سنتبيّنه في ثنايا السطور التفسيرية لبنت الشاطئ.

ثالثا: مفهوم المركب الإضافي "الدراسات البيانية"

لم يضع اللّغويون والبيانيون مفهوما واضحا للدراسات البيانية، وقد قادني الاجتهاد إلى تعريفين؛ أما الأوّل فقد ورد على لسان فاضل السامرائي حينما سئل عن التسمية الصحيحة للدراسات البيانية: إعجاز أو تفسير بياني؟ فأجاب بقوله: "هذه الدراسات ليست إعجازاً، فالإعجاز أكبر من ذلك بكثير، إنما هذه دراسات في البيان، يستخلصها أهل اللغة والبلاغة، بالنظر والتدبر في التعبير القرآني، وهو نوع من التفسير"[23]، فالدراسات البيانية عنده مردّها للتفسير البياني.

والثاني تعريف سعاد بولشفار حيث تعرّفها على أنها: "دراسات لغوية وبلاغية وأدبية، تهتم بكل ما يتعلّق بالقرآن الكريم من جهة الأداة واللفظ والجملة والمعنى والأساليب والتصوير والتعبير والإعجاز. في إطار موضوعاته المتنوعة والمختلفة. أو في إطار الموضوع الواحد...وهذا بحسب المنهج المتّبع، ونتيجة لتطور أداة الفهم ونضجها..."[24]، ومن خلال التعريف نلحظ استحضارها لما أشار إليه اليزيد بلعمش عند تعريفه بـ "الدراسة البيانية لفاضل السامرائي"، إلى أن الدراسة البيانية تقدمت تقدما ملحوظا، وتبلورت أفكارها، حتى غدت فرعا من فروع الدراسات اللغوية والأدبية والبيانية، وأُنجز فيها عدد كبير من الرسائل الجامعية، وأن العلوم العربية هي القاعدة للدراسة البيانية[25].

وتُتبِع سعاد بولشفار تعريفها بقولها: "وتهتمّ الدراسات البيانية للقرآن الكريم بكل مسائل البلاغة... التي تتجمع في النظم القرآني المعجز، وتشمل كل بحث بلاغي يستقصى

في آيات الذكر الحكيم، فيبرز صاحبه باستقصائه ما يتجلى له من دقائق وخصائص ومزايا بلاغية..."[26].

وعليه نخلص أن الدراسات البيانية هي: فرع من فروع الدراسات اللغوية والأدبية والبيانية، تُعنى بالقراءة المتبصّرة والتفكّر والتدبّر في التعبير القرآني، عبر تسخير اللغة بجوانبها: الصوتية، والصرفية، والنّحوية، والبلاغية، لمحاولة كشف واستجلاء معاني وأسرار ولطائف ودقائق البيان القرآني المعجز الخالد.

المحور الثاني: ضوابط ومعالم منهج الدراسات البيانية للقرآن الكريم عند عائشة عبد الرحمن

تبنّت بنت الشاطئ الاتجاه الأدبي بخاصيته البيانية والعلمية في دراساتها البيانية، وتمثّلته وفقا لضوابط ومعالم أوضحتها في مقدمة تفسيرها بطريقتها القائمة على الاختصار وهي:

أولا: دراسة الموضوع الواحد في القرآن: الأصل في المنهج، التناول الموضوعي لما يراد فهمه من كتاب الإسلام، ويبدأ بجمع كل ما في الكتاب المحكم من سور وآيات في الموضوع المدروس[27]، وهو منهج يختلف والطريقة المعروفة في تفسير القرآن سورة سورة، إذ يؤخذ اللفظ أو الآية فيه منقطعاً من سياقه العام في القرآن كله، مما لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنية لألفاظه، أو لمح ظواهره الأسلوبية وخصائصه البيانية.

فبالرغم من أن الدارسة تحمست كثيرا للترويج لفكرة الوحدة الموضوعية، إلا أنها لم ترتبط بها.

والملاحظ أن المؤلفة حاولت تفسير بعض السور القصار ملحوظ في كل واحدة منها وحدة الموضوع إلى حد ما، دون الابتعاد كثيراً عن التفسير الموضوعي، فالوحدة الموضوعية ملحوظة في كل سورة إلى حد ما، وقد اتبعت طريقة التفسير الترتيبي التقليدية.

ومن خلال تطبيقاتها لهذا الضابط توصلنا لنتائج مفادها:

1- السور التي حدّدت المفسرة موضوعها الرئيسي -دون عرض موضوع كل سورة من السور الأخرى-: الزلزلة والعاديات والبلد والعصر والفجر.

ومن أمثلة هذه النظرة الموضوعية للسورة الواحدة قولها في سورة العاديات: "وموضوعها: اليوم الآخر"[28].

2- أشارت بنت الشاطئ للعلاقة بين آخر السورة وأولها في سور: العاديات والنازعات والقلم والليل. وهي علاقة دالة على تناسق بدء السورة وختامها مع موضوعها واتجاهها.

ومثاله قولها في سورة العاديات عند تفسيرها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ [العاديات: 11]، قال: "وإيثار لفظ {خَبِير} هنا، بعد أن {حُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ}، مع تأكيده باللام وإن في أول الآية، يبلغ به الترهيب منتهاه، ثم يدع للخاطر بعد ذاك أن يتصور ما شاء، في ذلك الجو الحافل بالنذير والوعيد. وهذه الوقفة الحاسمة، يبلغ بها القرآن ذروة المشهد العنيف لبعثرة ما في القبور وتحصيل ما في الصدور، تتسق مع مشهد الإغارة العنيفة في مستهل السورة، على وجه باهر من البيان المعجز"[29].

3- كذلك أشارت الدارسة للمناسبة بين الآيات وملاحظة السياق في السورة الواحدة، وذلك في سور: الضحى والبلد والفجر.

فعند تفسيرها لقوله تعالى في سورة الفجر: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: 14] تقول: " وكما ارتبط هذا البيان لمصير الطغاة بالآية قبله {هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ} يرتبط الآيات بعده، على وجه العظة والإعتبار، في الإنسان المبتلى بالنعمة أو بالحرمان: {فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ}".

4- اِلتزمت بنت الشاطئ مقولة السلف الصالح "القرآن يفسر بعضه بعضا" عندما قرنت بين آيات سورة النازعات وآيات سورة عبس.

فقالت عند تفسيرها لقوله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (27) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (28) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا(29) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (30) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (31) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (32) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (33)﴾[النازعات: 27-33]: "وسياق الآيات هنا، في الانتقال من الاستدلال بمثل

هذا على قدرة الخالق، إلى بيان فضله تعالى ونعمته، شبيه بالذي في سورة عبس:﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (20) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (21) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (22) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (23) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (26) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (30) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (31) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس: 17-32]"[30].

ثانيا: دراسة حول القرآن

1- ترتيب الآيات حسب نزولها: ترتب الآيات فيه على حسب نزولها لمعرفة ظروف الزمان والمكان[31]، حيث أكّدت بنت الشاطئ أن ترتيب النزول موضع اعتبار، لفهم السياق العام لما نتدبر من آيات القرآن ودلالات ألفاظه وخصائص بيانه في المصحف كله[32].

إلا أن الدارسة طبقت مراعاة ترتيب النزول مرتين فقط في دراساتها البيانية:

المرة الأولى أثناء حديثها عن الحروف المقطعة في فواتح بعض السور القرآنية، فبعد أن نقلت أقوال المفسرين في تأويل هذه الحروف المقطعة، ورجّحت قول من قال: "أن هذه الحروف ذكرت لتدل على أن القرآن مؤلف من حروف هجائهم، مفردة أو مركبة ليدل القوم الذين نزل القرآن بلغتهم، أنه بالحروف التي يعرفونها ويبنون كلامهم منها"[33]، قالت: "يتجه منهجنا ابتداء، إلى استقراء كامل لجميع السور المفتتحة بالحروف المقطعة، مرتبة على حسب النزول. وهي محاولة لا أعلم أن أحداً ممن قرأت لهم في هذه الفواتح قد اتجه إليها"[34]، وقد بذلت الدارسة جهدها في محاولة استقراء فواتح السور وترتيبها على حسب النزول، وصرّحت بأنها يمكن أن تهدينا إلى ملحظ مشترك في هذه السور جميعاً، مأخوذ من تدبر سياقها وفهم طبيعة المقام الذي اقتضى إيثارها بهذه الفواتح، مرتبطاً بسير الدعوة عصرَ المبعث ونزول آيات المعجزة[35].

ثم أنهت بنت الشاطئ هذا الاستقراء بملاحظ خلاصتها:

أ- أنها بدأت في أوائل الوحي في سورة القلم لافتة إلى سر الحرف في البيان المعجز، ثم كثرت وتتابعت في أواسط العهد المكي، حين بلغ الجدل في القرآن أشده، فعرضت قضية التحدي، وظلت الآيات تعاجزهم إلى أن حسمت القضية في العهد المدني، فألزمت المشركين الحجة على صدق المعجزة بعجزهم عن أن يأتوا بسورة من مثله.

ب-ما من سورة بدأت بالحروف المقطعة إلا كان فيها احتجاج للقرآن وتقرير نزوله من عند الله، ودحض لدعاوى من جادلوا فيه.

ج- أكثر السور المبدوءة بالفواتح نزلت في المرحلة التي بلغ فيها عتو المشركين أقصى المدى، وأفحشوا في حمل الوحي على الافتراء والسحر والشعر والكهانة، فواجههم القرآن بالتحدي وعاجزهم مجتمعين[36].

أما **المرة الثانية** فكانت عند تتبعها لقصة خلق الانسان في القرآن، حين فسرت أول سورة العلق: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2)﴾ [العلق: 1-2].

لكن الدارسة وإن أوردت آيات الوحي التي تلفت إلى قصة خلق الإنسان من المبتدأ إلى المنتهى على المشهور في ترتيب نزولها إلا أنها لم تستقرئ الآيات التي تتحدث عن قصة خلق الانسان في القرآن استقراء كاملا.

2- معرفة المرويات في أسباب النزول: تندرج هذه القاعدة تحت الأصل المنهجي الذي وضعه الخولي: (دراسة ما حول القرآن دراسة خاصة)، وقد اعتمدتها بنت الشاطئ كقاعدة أساسية في منهجها، فقالت: "يستأنس بالمرويات في أسباب النزول من حيث هي قرائن لابست نزول الآية، دون أن يفوتنا ما تكون العبرة فيه بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية. وأن السبب فيها ليس بمعنى الحكمية أو العلية التي لولاها ما نزلت الآية"[37].

وقد اتخذت الدارسة من أسباب النزول أربعة مواقف:

– **الموقف الأول**: ذكر سبب النزول، دون تعقيب، ومثاله قولها في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ(1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2)﴾ [التكاثر: 1-2]: " سبب النزول، هو أن بني سهم وبني عبد مناف تفاخروا أيهم أكثر عدداً، فكثرهم بنو عبد مناف. فقالت بنو سهم: إن البغي أهلكنا في الجاهلية، فعادونا بالأحياء والأموات. ففعلوا، فكثرتهم بنو سهم"[38].

– **الموقف الثاني**: ذكر سبب النزول، والتعقيب عليه بما يفيد أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وذلك كقولها في تفسير سورة الماعون: " وقالوا في أسباب النزول، إنها نزلت في: أبي سفيان، أو العاص بن وائل السهمي، أو الوليد بن المغيرة، أو أبي جهل، والعبرة على كل حال بعموم اللفظ"[39].

– **الموقف الثالث**: ذكر سبب النزول، وإيراد القاعدة الأصولية "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" مع التعقيب عليها بما يشير إلى دور السياق في تأكيد هذه القاعدة.

ومثاله قولها في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2)﴾ [العصر: 2]: "وللمفسرين في الإنسان قولان: إنه لعموم الجنس، أو إن (ال) للعهد مراداً بالإنسان جماعة من المشركين... ولا نقف عندما اختلفوا فيه، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية. والسياق على ظاهره لا يخص الإنسان بفلان أو بآخر"[40].

– **الموقف الرابع**: رد سبب النزول، وعدم الأخذ به، عند تعرضها لقوله تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3)﴾ [الضحى: 3] حين فتر الوحي عن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد سؤال اليهود له عن ثلاث مسائل هي الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف فقال عليه السلام: سأخبركم غدا. ولم يقل: إن شاء الله، وأبطأ الوحي لأن جروا للحسن والحسين، رضي الله عنهما، كان في بيت الرسول فقال جبريل: "أما علمت أنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة" وحكاية الجرو التي ذكرها الرازي وأبو حيان والنيسابوري لا أساس لها من الصحة بعد أن فاتهم أن الحسن والحسين رضي الله عنهما وُلدا بعد الهجرة بثلاث سنوات أو أربع وسورة الضحى من أوائل الوحي وأن الذي يفيده النص أن فتور الوحي

ظاهرة طبيعية، شأنها شأن سجو الليل بعد إشراق الضحى. وهذا يغنينا عن تقديم أسباب والتماس علل للإبطاء في الوحي، لم يتعلق القرآن بذكرها[41].

ثالثا: دراسة في القرآن

1– دراسة في المفردات:

وهذا الضابط مستفاد من قاعدة (النظر في المفردات) التي أصّلها الخولي، وطبقتها تلميذته بنت الشاطئ، وتقول موضحة: " والمنهج المتبع هنا، هو الذي خضعت له فيما قدمت من قبل، بضوابطه الصارمة التي تأخذنا باستقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده، للوصول إلى دلالته، وعرض الظاهرة الأسلوبية على كل نظائرها في الكتاب المحكم، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، ثم سياقها العام في المصحف كله، التماساً لسرها البياني..."[42].

وقد أولت الباحثة دراسة المفردات عناية كبيرة، حتى لكأن فكرة الموضوع قد آلت على يديها إلى اللفظ الواحد، والمتتبع لدراساتها يجد أنها وجّهت اهتمامها لدرس اللفظ القرآني من ناحيتين:

أ– من ناحية المعنى اللغوي: فالباحثة تتلمس أولا الدلالة اللغوية الأصيلة التي تعطينا حس العربية للمادة، بتتبع تطورها من الاستعمال الحسي المادي، إلى المجازي المعنوي والاصطلاحي، ولمح الملحظ الدلالي المشترك بين صيغ المادة في شتى استعمالها؛ وتضرب بنت الشاطئ مثالين؛ أولهما: الملاصقة، أصل الدلالة في مادة (ش ع ر) تجدها في الحسي من شَعْر وشِعار، وفي المعنوي والاصطلاحي من شعور وشِعْر، ملاصقة وجدانية. وثانيهما: الميْل أصل الدلالة في مادة (زور) تجده في الحسي من الزَّوْر والأزور، وفي المجازي والمعنوي من الزيارة والازورار، وفي الزُّور ميلا عن الحق والهدى[43].

ب– من ناحية المعنى القرآني: لا تتوقف بنت الشاطئ طويلا أمام مرحلة الاستقصاء المعجمي، واكتشاف الدلالات المعجمية المختلفة، وإنما تنتقل إلى استقراء مادة الكلمة في القرآن الكريم كله، في مواضع مختلفة، ومدلولها في كل موضع في النص القرآني، وتوضح

الدارسة هذا الأمر بقولها: "تعتمد الدراسة القرآنية على المنهج الاستقرائي دقيقا وكاملا، إذ يتيح لنا المصحف أن نستقرئ ما فيه، مما يتعلق بالموضوع الذي ندرسه، أو الكلمة التي نلتمس دلالتها القرآنية"[44]، ومن هنا كان احتكامها إلى القرآن الكريم نفسه، وتتبع استعمالاته اللفظية هو المرجع الأخير للفهم الحقيقي للفظ، ومن ثمّ محاولة الوصول إلى بيانه المعجز.

ففي مادة (السعي) في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ [الليل: 4]، أوردت المعنى اللغوي أولا، قالت: "والسعي في اللغة المشي، لحظ فيه أن الساعي يبتغي عملاً أو يتجه إلى مقصد يدأب فيه، فكان السعي بمعنى العمل مع القصد والدأب"، ثم أوردت الاستعمال القرآني لمادة (السعي)، فقالت: "في الاستعمال القرآني للمادة، نجد الدلالة الأولى للسعي بمعنى المشي والحركة، على الحقيقة أو التخييل والمجاز، في آيتي (طه) عن عصا موسى ألقاها ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى٢٠﴾ [طه: 20]...كما نجد دلالة السعي على العمل مع الدأب في آيات: (الأنبياء 94) (الإسراء 19) (الكهف 104) ودلالة القصد أوضح في آيات: (البقرة 114) (المائدة 33، 64)، وواضح أن السعي في آية الليل، هو من العمل الكسبي مع القصد والدأب..."[45].

– إضافة إلى هذا تقرّر بنت الشاطئ "ثم يعطي المصحف الدلالة القرآنية، باستقراء كل ما فيه من مادة الكلمة، وتدبّر سياقها الخاص في الآية والسورة، وسياقها العام في المصحف كله، وتعرفون أن القرآن استحدث لكثير من الكلمات دلالات إسلامية لم يكن للعربية عهد بها في الجاهلية... ولا سبيل إلى اتقاء هذه الدلالات الطارئة، إلا بالاستقراء الكامل، يعطي الدلالة القرآنية للكلمة"[46].

فلفظ (الساعة) مثلا: عرفتها العربية قبل الإسلام، جزءا قليلا من الوقت، وظرف زمان واستحدثت العصور المتأخرة دلالة زمنية محددة للساعة، ثم الآلة الضابطة للوقت، ويعطي الاستقراء الدلالة القرآنية الخاصة للساعة، فحيثما جاءت فيه معرفة بـ (ال)، فهي الساعة يوم القيامة، و(ال) فيها للعهد، لا للجنس[47].

– تضيف الباحثة ملحظا أدق، وهو أن الكلمة القرآنية لا تقوم مقامها كلمة قرآنية أخرى في غير سياقها، فمثلا: كلمتا حلم ورؤيا: تأتيان في المعاجم تفسيرا لإحداهما بالأخرى، وتستقرأ آياتهما في القرآن، فلا تكون الرؤيا إلا للصادقة. أما الأحلام فأضغاث مختلطة من هواجس المنام[48].

2– دراسة في التراكيب –في فهم أسرار التعبير–:

أ– الاحتكام إلى سياق النص في الكتاب المحكم، وعرض أقوال المفسرين عليه:

تقول بنت الشاطئ: "نحتكم إلى سياق النص في الكتاب المحكم ملتزمين ما يحتمله نصا وروحا، ونعرض عليه أقوال المفسرين فنقبل منها ما يقبله النص، ونتحاشى ما أُقحم على كتب التفسير من مدسوس الإسرائيليات وشوائب الأهواء المذهبية، وبدع التأويل[49].

ومن الأمثلة التطبيقية عندها في هذه المسألة، ما جاء في تفسير لفظ (المفتون) في قوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (5) بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم: 5–6]، قالت: " هي تحتمل في الآية، أن يكون المفتون من الإبتلاء بالضلال والبغي. ولعلها تحتمل كذلك ما قاله بعض المفسرين من معنى الجنون. وإن يكن حمل الفتنة على الضلال أقرب إلى حس البيان، كما أنه أقرب إلى سياق الآية بعده: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القلم: 7]"[50].

– وتؤكد الباحثة على أن الاحتكام إلى سياق النص في الكتاب المحكم يجعلنا نتحاشى ما أقحم على كتب التفسير من مدسوس الإسرائيليات.

ومن الأمثلة التطبيقية عندها في هذا: ما جاء في تفسيرها لقصة أصحاب الجنة الواردة في سورة القلم [الآيات: 17–33] قالت –بعد أن ذكرت بعضا من تأويلات المفسرين في تفسير هذه الآيات–: "وهو إذ يضرب المثل بأصحاب الجنة الذين أنعم الله عليهم فبغوا وظلموا أنفسهم ونسوا الله فحقّ عليهم العقاب والحرمان، لم يحدد لنا من أي قوم كانوا...ولم يذكر عددهم زمن القصة...كما اكتفى بطائف على الجنة بلَيل وأصحابها نائمون. دون أن يشير من قرب أو بعد، إلى ما يسيغ المرويات الغريبة التي تقول في

{طَّائِف} إنه شيطان، أو إنه جبريل اقتلع شجر الجنة ونخيلها وحمله فطاف به حول الكعبة ثم غرسه في موضع بلدة الطائف!"[51]. واستأنست بنت الشاطئ في فهم هذه الآيات بآية يونس في مثل الحياة الدنيا: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: 24].

– كما تؤكد على أن الاحتكام إلى سياق النص في الكتاب المحكم يجعلنا نتحاشى ما أقحم على كتب التفسير من شوائب الأهواء المذهبية، ولعل في ردودها على ما أثاره الزمخشري في الكشاف من مسائل اعتزالية ما يكشف عن تطبيقها لهذه المسألة، واهتمامها بها، ومن ذلك ما جاء في تفسيرها لقوله تعالى: [الفجر: 22]، قالت: وعند الزمخشري تمثيل لظهور آيات اقتداره تعالى وسلطانه، بحال الملك إذا حضر بنفسه وظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر إلا بحضور عساكره ووزرائه وخواصه"[52].

وتعقبت بنت الشاطئ قوله قائلة: "وهو تأويل ينبو عنه الحس، إذ لا وجه لتمثيل مهابة الله تعالى والمَلَك، بحال ملوك الدنيا "فلا تظهر هيبتهم إلا بحضور عساكرهم ووزرائهم"! كما لا مجال لتمثيل ذلك الموقف المهيب في الآخرة، بمواكب الملوك في الدنيا. وبعيد كذلك، قول من تأولوا "ربك" في الآية: "ولعل ملكاً هو أعظم الملائكة، هو مُرب للنبي – صلى الله عليه وسلم –، المراد من قوله تعالى:{وَجَاءَ رَبُّكَ..."[53].

– كما تؤكد بنت الشاطئ أيضا على أن الاحتكام إلى سياق النص في الكتاب المحكم يجعلنا نتحاشى ما أُقحم على كتب التفسير من بدع التأويل.

ومن الأمثلة التطبيقية عندها في هذه المسألة ما جاء في تفسيرها لآيتي الضحى: ﴿وَالضُّحَى(1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى(2)﴾ [الضحى: 1-2]، تذكر بنت الشاطئ أن المقسم به صورة مادية وواقع حسي مشهود، يمهد لموقف مماثل غير حسي ولا مشهود، هو فتور الوحي بعد إشرافه وتجليه، تقول: "ولا نقف بعد هذا عند تأويلات الإشاريين بأن الضحى وجه محمد –صلى الله عليه وسلم– والليل شعره، أو أن الضحى هم ذكور أهل بيته عليه

السلام والليل إناثهم ويحتمل أن يقال: الضحى نور علمه الذي يعرف به المستور من الغيوب، والليل عفوه الذي يستر به جميع العيوب، أو هي إشارة بالضحى إلى إقبال الإسلام بعد أن كان غريبا، وبالليل إلى أنه سيعود غريباً كما بدأ إلى آخر هذه التأويلات الإشارية التي لا موضع لها في تفسير بياني للنص الكريم"[54].

ب- الاحتكام إلى القرآن الكريم في التوجيه الإعرابي والأسرار البيانية وعرض الظاهرة الأسلوبية على كل نظائرها في الكتاب المحكم:

تقول بنت الشاطئ: "كما نحتكم إلى الكتاب العربي المبين المحكم في التوجيه الإعرابي والأسرار البيانية، نعرض عليه قواعد النحويين والبلاغيين ولا نعرضه عليها، لا نأخذ فيه بتأويل لعلماء السلف على صريح نصه وسياقه، لتسوية قواعد الصنعة النحوية وضوابط علوم البلاغة إذ القرآن هو الذروة العليا في نقاء أصالته وإعجازه بيانه..."[55].

وقد عرضت الباحثة لهذه القضية بالتفصيل في كتابها (الإعجاز البياني للقرآن، ومسائل ابن الأزرق)، وقدّمت بعض الشواهد من حروف قرآنية، حاول بعض اللغويون والبلاغيون في تأويلها أن يعدلوا بها على وجه التقدير، عن الوجه الذي جاءت به، لكي تلبي مقتضيات الصنعة الإعرابية وتخضع لقواعد المنطق البلاغي المدرسي، فبقيت هذه الحروف تتحدى كل محاولة بتغيير أو تقدير أو لحذف أو زيادة.

ومن ذلك ما جاء في تفسيرها لقوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: 9]، قالت: "وشغل نحاة ومفسرون بعقد الصنعة الإعرابية، عن لمح سر التعبير بـ "لو" التي تعطي حس التمني البعيد من المشركين أن يلين لهم المصطفى عليه الصلاة والسلام، فوقفوا طويلاً عند ثبوت النون في {فَيُدْهِنُونَ} والقاعدة عندهم أنها تحذف على النصب في جواب التمني {وَدُّوا لَوْ} لتضمنه معنى ليت...وقد قلت وأقول: ما يجوز أن يعرض البيان الأعلى على قواعد النحاة، وإنه الأصل والحجة. ومن ثم تبقى الآية على وجهها، وتكون الفاء في: فيدهنون حرف عطف، فتثبت النون رفعاً بالعطف على {تُدْهِنُ} والفاء العاطفة لا تفقد ملحظ السببية"[56].

– ومن الظواهر الأسلوبية التي تؤكد بنت الشاطئ عرضها على كل نظائرها في الكتاب العربي المبين ظاهرة الاستغناء عن الفاعل، ومثاله اطراد هذه الأخيرة في موقف القيامة، إما بالبناء للمجهول في مثل قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: 21]، ومعها سائر آيات النفخ في الصور، وكلها مبنية للفعل المجهول، الماضي منها والمضارع (الكهف:99، المؤمنون: 101...) وإما أن يستغني البيان القرآني عن ذكر الفاعل في موقف الآخرة، بإسناده إلى غير فاعله، مطاوعة أو مجازا، كما في قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ١﴾ [القمر: 1]، وتعلق بنت الشاطئ على هذه الظاهرة بقولها: " وقد شغل أكثر المفسرين والبلاغيين بتأويل الفاعل، عن الالتفات إلى إطراد هذه الظاهرة الأسلوبية. في أحداث القيامة. وفي منهجنا لا يجوز أن نتأول الفاعل، مع وضوح العمد في البيان القرآني إلى صرف النظر عنه...وقد هدى تدبر هذه الظاهرة الأسلوبية، إلى أن البناء للمجهول تركيز للاهتمام بالحدث، بصرف النظر عن محدثه. وفي الإسناد المجازي أو المطاوعة، تقرير لوقوع الأحداث في طواعية تلقائية، إذ الكون مهيأ للقيامة على وجه التسخير"[57].

خاتمة:

من خلال هذا البحث تمّ –بعون الله وحمده– التوصل إلى مجموعة من النتائج، والتي يمكن اختصارها على شكل نقاط كالتالي:

– بروز شخصية عائشة عبد الرحمن في دراساتها البيانية من خلال تحليها بالأمانة العلمية، والتزامها بالموضوعية، وتمسكها بالراجح عندها وتدبرها العميق في الآيات القرآنية، ونبذها للتقليد الأجوف ودعوتها لاجتلاء سر العربية الأكبر من البيان المعجز.

– انتهاجها للاختصار والوضوح ومراعاتها للدقّة في التحرير يدل على عقلية فذة، امتلكت صاحبتها زمام البيان، وتقلّدت وسام البلاغة، فاستطاعت أن تقرب المقصود بأجزل عبارة وأدق وأبين ملفوظ.

– تمكّن الباحثة في علم اللغة وخاصة البلاغة.

– لم تلتزم الباحثة بضابط التناول الموضوعي، لكنها اختارت بعض سور قصار ملحوظ في كل منها وحدة الموضوع إلى حد ما.

– تطبيقها لضابط ترتيب الآيات حسب نزولها على طول بحثها، جاء سوى مرتين: الأولى أثناء حديثها عن الحروف المقطعة في فواتح السور، والثانية عند تتبعها لقصة خلق الإنسان في القرآن الكريم أثناء تفسيرها لأول سورة العلق.

– تتبعها الدقيق للفظة القرآنية في جميع مواضع ورودها في القرآن الكريم، يعدّ أكثر ضابط اِلتزمت به الباحثة في دراساتها البيانية.

– اهتمامها بتنقية الدرس التفسيري البياني للقرآن الكريم من الإسرائيليات –مدسوس الإسرائيليات–.

ومما سبق يتبيّن أن بنت الشاطئ كانت موفقّة إلى حد ما في اختيارها للمنهج الذي سارت عليه، وطريقتها، وأسلوبها، لكن هذا لا يدل على أن كل ما توصلت إليه هو الصواب، بل لها هفواتها والكل يخطئ ويصيب.

[1] – ينظر: عائشة محمد علي عبد الرحمن، بنت الشاطئ، على الجسر بين الحياة والموت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 1999م، ص122، وينظر: خليل أحمد خليل، موسوعة العرب المبدعين في القرن العشرين، دار الفارس، عمان، ط1، 2001م، ص753.

[2] – ينظر: لمعي المطيعي، موسوعة نساء ورجال من مصر، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1423هـ-2003م، ص114.

[3] – عائشة عبد الرحمن، على الجسر، ص24.

[4] – المصدر نفسه، ص80.

[5] – أميرة خواسك، رائدات الأدب النسوي في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 1999م، ص115، 122. جوزيف زيدان، مصادر الأدب النسوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، دت، ص463.

[6] – ينظر: عائشة عبد الرحمن، على الجسر، ص22.

[7] – ينظر ترجمته: عبد الرزاق بن حسن البيطار الميداني، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحق: محمد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، ط2، 1413هـ-1993م، ص305. وينظر: عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحق: إحسان عباس، دار الغرب، بيروت، ط2، 1982م، 405/1. وينظر: محي الدين الطعمي، النور الأبهر في طبقات شيوخ الجامع الأزهر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ-1992م، ص20.

[8] – ينظر: عائشة عبد الرحمن، على الجسر، ص45-48.

[9] – ينظر: حسين نصار، أمين الخولي، المجلس الأعلى للثقافة، دط، 1996م، ص16.

[10] – ينظر: عائشة عبد الرحمن، على الجسر، ص41-43.

[11] – عائشة عبد الرحمن، على الجسر، ص29.

[12] – المصدر نفسه، ص81.

[13] – زين الدين بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، تحق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية–الدار النموذجية، بيروت، ط5، 1999م، ص103.

[14] – ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، 6/79-80.

[15] – الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م، 6/546.

[16] – محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط7، 1981م، 2/537.

[17] – ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1984م، 29/93.

[18] – الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، مفردات القرآن، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، بيروت، ط1، 1412هـ، ص157-158.

[19] – ينظر: الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987م، 5/2082-2083. وينظر: ابن منظور، لسان العرب، 13/68.

[20] – الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط4، 1998م، ص201.

[21] – جبران مسعود، الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1992م، ص184.

[22] – عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1996م، 2/126-127.

[23] – نقلا عن فاضل السامرائي، مقدمة حول الدراسة البيانية للقرآن الكريم، البُنية والدّقة في اختيار اللفظة، http://islamiyyat.3abber.com/post/187207، 18 سبتمبر 2013م، نُظر يوم 16 سبتمبر 2020م، الساعة 7:13.

[24] – سعاد بولشفار، مقال: التكامل بين فلسفة التفسير القرآني والدراسات البيانية –آية ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أنموذجا–، مجلة الدراسات الإسلامية، الجزائر، العدد 01، المجلد 08، أفريل 2020م، ص70.

[25] – ينظر: اليزيد بلعمش، مقال: الدراسة البيانية للقرآن الكريم عند فاضل السامرائي سمات ومرتكزات، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، العدد 21، المجلد 11، جوان 2017م، ص180.

[26] – سعاد بولشفار، مقال: التكامل بين فلسفة التفسير القرآني والدراسات البيانية، ص70.

[27]– عائشة محمد علي عبد الرحمن، بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط7، دت، 1/10.

[28]– المصدر نفسه، 1/103.

[29]– المصدر نفسه، 1/119.

[30]– المصدر نفسه، 1/153.

[31]- المصدر نفسه، 10/1.

[32]- المصدر نفسه، 9/2.

[33]- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، ط3، 2004م، ص155.

[34]- المصدر نفسه، ص 160.

[35]- المصدر نفسه، ص 160.

[36]- المصدر نفسه، ص 179-180.

[37]- بنت الشاطئ، التفسير البياني، 10/1-11.

[38] - المصدر نفسه، 199/1.

[39] - المصدر نفسه، 183/2.

[40] - ينظر: المصدر نفسه، 80/2-81.

[41] - ينظر: المصدر نفسه، 35/1-36.

[42] - المصدر نفسه، 7/2.

[43] - بنت الشاطئ، مقدمة في المنهج، مركز تراث للبحوث والدراسات، دط، دت، ص126.

[44] - المصدر نفسه، ص134.

[45] - بنت الشاطئ، التفسير البياني، 103/2-104.

[46] - بنت الشاطئ، مقدمة في المنهج، ص126.

[47] - ينظر: بنت الشاطئ، التفسير البياني، 159/1-160.

[48] - بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ص215-217.

[49] - بنت الشاطئ، التفسير البياني، 11/1.

[50] - المصدر نفسه، 53/2-54.

[51] - المصدر نفسه، 64/2-65.

[52] - الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، 1407هـ، 751/4.

[53] - بنت الشاطئ، التفسير البياني، 156/2.

[54] - المصدر نفسه، 32/1.

[55] - المصدر نفسه، 11/1.

[56] - المصدر نفسه، 55/2-56.

[57] - المصدر نفسه، 80/1-81. وينظر: بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، 240-243.